فصل
[في وجوه الشبه المنتزعة من شيء أو أشياء]

ثم إن هذا الشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد كما مضى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل. وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما. ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ الشبه منتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، ويكد جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض.

بيان ذلك أنه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهو الأسفار التي فيها أمارات تدل على العلوم، وأن يثلث ذلك بجهل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود. ثم إنه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد ولا يتصور أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأول على الثاني ويدخل الثاني في الأول، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضاً بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره، فما لم تجعله كالخيط الممدود ولم يمزج حتى

يكون القياس قياس أشياء يبالغ في مزاجها حتى تتحد، وتخرج عن أن تعرف صورة كل واحد منها على الانفراد، بل تبطل صورها المفردة التي كانت قبل المزاج، وتحدث صورة خاصة غير اللواتي عهدت ويحصل مذاقها[1]، حتى لو فرضتَ حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج فرضت[2] مالا يكون ـ لم يتم المقصود[3] ولم تحصل النتيجة المطلوبة وهي الذم بالشقاء في شيء يتعلق به غرض جليل وفائدة شريفة مع حرمان ذلك الغرض وعدم الوصول إلى تلك الفائدة واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سبباً إلى نيل شيء من تلك المنافع والنعم.

[التشبيه المعقود على أمرين وليس بتمثيل].

ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقوداً على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم: «هو يصفو ويكدر، ويمر[4] ويحلو، ويشج ويأسو، ويسرج ويلجم»[5] لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى، لأنك لو قلت هو «يصفو» ولم تتعرض لذكر الكدر أو قلت «يحلو» ولم يسبق ذكر «يمر» وجدت المعنى في تشبيهك له بالماء في الصفاء وبالعسل في الحلاوة بحاله وعلى حقيقته، وليس كذلك الأمر في الآية لأنك لو قلت: كالحمار يحمل أسفاراً ولم تعتبر أن يكون جهل الحمار مقروناً بحمله وأن يكون متعدياً إلى ما تعدى إليه الحمل لم يتحصل لك المغزى منه، وكذلك لو قلت:

---

(1) وفي نسخة: وتحصل بذاتها.

(2) فرضت جواب لو فرضت.

(3) لم يتم... إلخ جواب: فما لم تجعله كالخيط.. الخ (ش).

(4) كدر مثلث الدال من باب قعد وحسن وتعب، ويمر بفتح الميم وبضمها.

(5) لو قال: يشرح أي يقطع ويلحم أي.. لكانت كما قبلها كتبه شيخنا على نسخة الدرس وذهب منه تفسير يلحم وهو بضم الياء من ألحم. فأما شرح اللحم وهو المراد فمعناه: قطعه طولاً ويقال: ألحم العظم إذا اعترق اللحم الذي عليه كعرقه، ولحمت الرجل وألحمته: أطعمته اللحم.

هم كالحمار في أنه يجهل الأسفار ولم تشترط أن يكون حمله الأسفار مقروناً بجهله له لكان كذلك. وكذلك لو ذكرت الحمل والجهل مطلقين ولم تجعل لهما المفعول المخصوص الذي هو الأسفار فقلت هو كالحمار في أنه يحمل ويجهل، وقعت من التشبيه المقصود في الآية بأبعد البعد. والنكتة أن التشبيه بالحمل للأسفار إنما كان بشرط أن يقترن به الجهل ولم يكن الوصف بالصفاء والتشبيه بالماء فيه بشرط أن يقترن به الكدر، ولذلك لو قلت: يصفو ولا يكدر لم تزدد في صميم التشبيه وحقيقته شيئاً وإنما استدمت الصفة كقولك: يصفو أبداً وعلى كل حال.

obeikandl.com